عنوان البرنامج: تفكيك خطاب التطرف
الوحدة الثانية: حلمي الوحدة والكرامة
الدرس الثالث: حلم الكرامة (1)
اسم المحاضر: الأستاذ الدكتور أحمد عبادي

حلم الكرامة (1)

بسم الله الرحمن الرحيم وعلى آله وصحبه أجمعين، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته؛

في لقاءاتنا الماضية تكلمنا عن حلم الوحدة، واختطاف هؤلاء الذين يدعون أنهم يؤسسون للدولة الإسلامية؛ دولة الخلافة، كيف أنه اختطفوا هذا الحلم النبيل؛ والذي يتأسس على توق كل مسلم ومسلمة في مشارق الأرض وفي مغاربها، لرؤية هذه الأمة؛ أمةً موحدةً، كما قال الله عزّ وجلّ: ﴿ **إِنَّ هَـذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ**﴾ (الأنبياء: 91).

ويتوقون جميعا لرؤية تجسد قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ، وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا، وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا**﴾ (آل عمران: 103.102).

لكن الوصول إلى هذه الغاية، لا بد له من لبنات يُرفع بها بُنْيَان هذا الوصول؛ من علوم مسعفة، ومن أسباب ميسرة، ومن آلياتٍ موصلة، ومن أضرب تقويمٍ تمّكن من فحص هذه الإنجازات، أهي على الدرب؟ أم هي على سواه؟ ولا بد من كل ما ينبغي أي يواكب ذلك من بناء القدرات، والكفايات، والمؤسسات، وإعطاء التّمكينات إلى غير ذلك، مما قد تم تفصيله عند أهل الاختصاص.

فإذن القفز مباشرة إلى زعم تأسيس الدولة الإسلامية دون أن يتم اتخاذ الأسباب، هذا عوض أن يوصل إلى الوحدة، نحن نراه اليوم هذا يوصل إلى الفُرقة، وهذا لا شك لا بد فيهم من مراعاة كل ما حمد على هذا السلوك، ومحاولة إقامة الحجة والبرهان بإظهار أن هذه السبيل ليست هي السبيل التي أمر بها رسولنا صلى الله عليه وسلم، أخذاً من مشكاة كتاب ربنا الوحي الخاتم.

ولذلك فإن هذه الأمور التي تحدثنا عنها آنفاً، لا شك أن الوخامة بخصوصها سوف تتزداد، إن لم يكن هناك الاستدراك بالوسائل التي ألمعنا إليها آنفاً.

اليوم بفضل الله تعالى وبجوده وبكرمه، سوف ننتقل للحديث عن **حلم الكرامة**.

لا شك أن **الكرامة** إحساس إنساني نبيل، مقترن بالعجنة الأولى لك أيها الإنسان، فالإنسان هو سبيل آدم عليه السلام الذي كرّمه الله سبحانه وتعالى، بأن أمر الملائكة بأن يسجدوا لك ﴿**وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا**﴾ (البقرة: 33)، ونحن جميعا في صلبه.

فإذا هذا رفع إلى أعلى مصاف الكرامة، ثم إن الجنس كله قد قال الله تعالى عزّ وجلّ في حقّه: ﴿ **وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا**﴾ (الإسراء: 70)، التكريم أمر ممتزج بالعجنة الأولى لك أيها الإنسان، وبطبيعة الحال؛ فإن هذا التوق للكرامة موجود.

وكلما رأى الإنسان ما يمكّن من هذه الكرامة؛ التي هي في تكوينك أيها الإنسان ضرورة، فلا شك أنه سوف يندفع إلى وجهته؛ لكن للأسف أحياناً يكون ما يجده سراباً، إذا لم يكن هناك تقويم لهذه الدعوات؛ والتي في أغلبها تكون دعاوى؛ لأن رفع صرح الكرامة لا يكون بالدعاوى، وإنما يكون بالأعمال.

وذلكم لأن الكرامة بعد هذا الوهْب الرباني، بأن جعل التوق إليها ضمن عجنتك أيها الإنسان، بعد ذلك لا يمكن أن تكون بالإدعاء، وإنما تأتي بالاستحقاق؛ وهو قول الله عزّ وجلّ: ﴿**لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ، ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ، إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ**﴾ (التين: 6.4)، في هذا التواصي ﴿**وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ**﴾، هذا العمل وهذا التأسيس هو الذي يجعل الإنسان مستحقاً للأجر غير الممنون.

﴿**إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ**﴾ أي غير محسوب، وغير مُمتن به؛ لأنه وَهْبٌ من ربّ العزّة أن المنان جلّ وعزّ ﴿**فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ، فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ، أَلَيْسَ اللهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ**﴾ (التين: 8.6) أي أن هذا الرد إلى أسفل سافلين، بعد الوهْب الأول لهذه الكرامة، يقتضي تسلقاً إلى قممها مرة أخرى، وهذا التسلق هو الذي فيه قول الله عزّ وجل: ﴿ **يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ**﴾ (الانشقاق: 6)، ﴿**وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا**

لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ (العنكبوت: 69)، أي أن مسألة فيها المكابدة، وفيها الكدح، وفيها كل أضرب المجاهدة؛ التي سوف يأتي معنا إن شاء الله مقام لتفصيلها.

لكن العبرة الآن بكون الكرامة أفقاً لا بد من رصِّ لبنات الطريق التي تؤدي إليه بالكدح، وبالبدل، وبالعمل، ولا يمكن أن تكون دعوة، أو أن تكون إدعاءاً، أو تكون تمنياً.

هذه المسألة هي بمثابة التمهيد، للحديث عن الاضطرابات التي أصابت أمتنا منذ قرون خلت؛ لأن هذه الأُمّة، رغم أن أُمّة الكتاب الذي قال في حق منزله: ﴿**إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ**﴾ (الإسراء: 9)، قد تجانفت عن آليات وأدوات استنطاقه على الوجه الصواب.

﴿**لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا**﴾ (هود: 7)، قالوا للفضيل ابن عياض رضي الله عنه: «ما أحسن العمل، قال: أخلصه وأصوبه، قالوا: فما أخلصه وما أصوبه، قال أخلصه ما كان ابتغاء وجه الله تعالى وحده، وأصوبه ما كان على سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم»؛ أي على النهج، وعلى الدرب.

لكن أمر الله عزّ وجلّ لنا بالقراءتين يفيد أن الصواب، لا بد فيه من المتح من كتاب التدوين؛ الذي هو الوحي، ولكن أيضا من كتاب التكوين؛ الذي هو الكون، والقرن بين هاتين القراءتين لكي نصل إلى الصواب.

فبناء الكرامة لا بد أن يمر من التربية للإنسان، لا بد أن يمر من المحيط، ومن المحاضن التي تكون فيها التنشئة ابتداء بالأسرة، والتعاضد الذي ينبغي أن يكون بين أفراد الأسرة، والبرنامج الأسري الذي قال الله عزّ وجلّ عن بلورته أنه يتم في رضا، وفي تشاور من بعد رضا وتشاور، فهذا المحضن لا بد أن يكون الحرص على أنه فعلا محضن سليم، ثم بعد ذلك هذا المجتمع، لا بد أن يكون فيه تأسيس المبارك الذي يجعله بمثابة الأسرة الممتدة والتي يتعارضوا أهلها، ويتعاونوا بمقتضى قوله الله عزّ وجلّ: ﴿ **وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ**﴾ (المائدة: 3).

بمعنى أن هذا **التأسيس لحيثيّات الكرامة**، قد تم إخفاءه في بعض محطات تاريخنا؛ والذي هو بمجمله تَيِّرٌ مبارك، ولكن هذا التفعيل لهذه المقتضيات التي فيها الهداية للتي هي أقوم، لم يكن دائما بالشكل المطلوب، من حيث البناء بالمهارات التي تؤهل أهلها، والمكونين لاكتسابها، لأن يكونوا ممن قال الله عزّ وجلّ في حقهم: ﴿**وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ**﴾ (النساء: 82).

في لقاءنا القادم إن شاء الله سوف نبلور الحديث عن الكرامة بمزيد من الإضاءات، التي لا شك يستمد قبسها من فصول تاريخنا المبارك، ولكن هذا الاستمداد سوف يكون استمداد اعتبار.

إلى حين لقينا بكم إن شاء الله في حلقتنا القادمة، أستودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.